في «عثمان وتقاسيم الزمن»

البحث عن واحة خارج الأرض

يقال بأن الأرض مستديرة ، لأنها دوما تقودنا إلى نقطة الانطلاق ، فمهما جمحت بنا أحلامنا أسفارنا ، رغباتنا ؛ فهناك خيط يعيدنا دوما إلى نقطة البداية ، فالهجرة مشروعة بحثاً عن الرزق وتحسين المستوى المعيشي ... والهجرة أصبحت اليوم هي التطلع إلى المستقبل ،ذلك المستقبل الذي يعجز القائمون عن شئون الوطن تقديمه للمواطن ،وتكون العودة ذلك التيار الجارف من الحنين إلى الحواري والأماسي وعيون الأحباب وأحضان الأقرباء ، ورائحة الأرض والأشجار وذلك العبق الذي يحفر أخدوداً في النفس ، ويجعلنا نلتفت نحو الخلف ، والمثل يقول «كل غريب لوطنه يعود»..لكن متى يفكر الإنسان المغادرة دون العودة وقطع ذلك الحبل السّري الذي يربطنا بالوطن منذ الميلاد ؟.. الجواب نجده في قصة « عثمان وتقاسيم الزمن « للكاتب الكويتي حمد الحمد ، وهي إحدى قصص المجموعة التي تحمل نفس العنوان..

تعليق / زهرة رحمة الله ●

يطل علينا البطل في بداية القصة وهو يلتقط صحيفة الشروق .. مانشيت عريض بلون احمر على الصفحة الأولى شد انتباهه وراح يقرأ الخبر مرة تلو المرة ، والخبر يقول «تهبط في صباح الغد مركبة فضائية قادمة من كوكب أبو لون ،المكتشف حديثا ... وتقبل إدارة المركبة الراغبين في الهجرة ،لأسباب إنسانية أو سياسية ، ومن يهاجر لا يعود إلى الأرض مرة أخرى».. يطوي البطل الصحيفة ويضعها جانبا ، ويحدّث نفسه بأنها فكرة جميلة «من يذهب لا يَعود/ في اليوم التالي يخرج البطل من منزله باكرا وهو يحمل حقيبته الجلدية .

في طريقه إلى موقع هبوط المركبة الفضائية والذي حددته الصحيفة ،بين خط المحيط غربا والخليج شرقا، وهو امتداد الوطن العربي ..والبطل في طريقه يستنشق الهواء ويجتاحه الإحساس بأنه في يوم عيد ونرى بأن هذا الإحساس غير العادي لا يخالجنا كل يوم ، ولكن حين تولد فينا فكرة جديدة ، ويخالجنا أمل جديد ، فهل كانت فكرة الرحيل بدون العودة هو مبعث هذا الإحساس الجميل في نفس البطل ؟ ..وهو في طريقه هاجس داخلي يعاتبه على ترك الوطن والبطل يبرر هذا بأن الوطن هُم الناس والناس تأكل بعضها البعض هنا والحال أصبح ، كما يعبر نزار قباني «حوارنا اليومي كالخناجر ..وأفكارنا أشبة بالأظافر»..

والبطل هو الكاتب والمفكر ولكن الإعلام يمجّد الراقصة التي تهز وسطها أكثر منه..في الموقع يصعقه الحضور الكبير للبشر يعلق ضاحكا «قد يكونوا جميع أبناء الوطن» ثم يقتحم الصفوف ، يصل أذنيه حديث طائر «فرصة ثمينة بأن نذهب ولا نعود»، فالكل هنا يحلم بتذكرة الاتجاه المعاكس للوطن ..ونتساءل لماذا ؟ والإجابة تأتي من أفواه مختلف شرائح المجتمع والتي تلتف في الحرارة والغبار منتظرة المركبة منتظرة الفرج..

هناك بائع المشروبات الذي يريد أن يغادر ، لأن رجال البلدية يلاحقونه .. وهم يلاحقون الفقراء فقط.. ورجل آخر غادر أخوه إلى أمريكا وفي بضع سنين استطاع بأن يكوّن أسرة ويمتلك منزلاً وسيارة ، ويعرف حقوقه وواجباته ، وهو هنا كثور الساقية يدور ويدور لا يعرف حاضره ولا مستقبله.. وأيضا هناك المحاسب الذي يعمل في إحدى المؤسسات المالية ، ويكتشف لعبة الاختلاس ، لكنه يتهم بارتكاب عمل شائن وتُنهى خدماته ، وهناك الرجل البسيط المطحون في رحى الأيام .. الكل ينتظر ، الكل يحلم في الوظيفة ، في الأجر الخيالي والحياة الرغيدة ، لكن المركبة لا تأتي ، وتأتي نهاية القصة بأن محرر صحيفة الشروق يهمس في أذن البطل بأن القصة كلها كذبة إبريل .. وهكذا يضعنا الكاتب أمام هذه النهاية ، بعد سرد مشاكل لا حلول لها وكم هائل من الأحلام والأماني والرغبات حبيسة النفوس لا تجد أرضاً خصبة للنمو، وتبحث عن واحة ، ولو كانت خارج حدود الأرض..

● قاصة وصحفية يمنية

قصة قصيرة

هدية الوداع .. « وعد »

بلقيس الربيعي

كانت تتمشى على كورنيش البحيرة لتمتع ناظرها باخضرار الأشجار وزقزقة العصافير فَرِحة بالربيع، ولتستمتع بملمس شمس أيار على جسمها ، تتسلل أشعتها من مسام النسيج القطني لفستانها السمائي والنسمة الطرية التي تأتيها من البحيرة تدغدغ أعصابها وتطرد بقايا الصداع الذي المّ برأسها للأخبار المؤلمة التي تناقلتها شاشات التلفزيون وواجهات الصحف عن العراق والتي يقشعر لها البدن .وحين شعرت بالتعب ، جلست على إحدى المصاطب المنتشرة على طول الساحل .

فجأة تبصر عيناها ، شابة سمراء ،ذات وجه مستدير وشعر قصير ، عيناها واسعتان ، فيهما بريق مثل مياه البحيرة التي تجلس أمامها وتتشح بالسواد .وبحضنها جلست طفلة لا يتجاوز عمرها الثلاث سنوات . لم تصدق أمل عينيها . أحقيقة ترى سعاد التي كانت تشاطرها السكن أيام الجامعة . اتجهت إليها والفرحة تملأ قلبها لهذا اللقاء الذي جمعهما صدفة . مدّت أمل يدها لتصافح سعاد وقالت : « أنا لا اصدق عيني ! أحقيقة أراكِ أمامي ؟ صدقوا حين قالوا العالم صغير ومَسير الحي يلتقي .. « وراحت تعانقها بحرارة .

ـ « ما الذي جاء بكِ هنا ؟»

ـ « إنه القدر اللعين الذي جاء بكِ أنتِ إلى دول الشتات ! «

وبنظرة خاطفة لاحظت أمل أن عينا سعاد تخفيان حزناً عميقاً ، وبشكل لبق حاولت سبر غور هذا الحزن الذي يعلو عينييها ، فجلست جنبها وقالت :

« لمّ لا تتركي الطفلة تلعب بحريتها ، فلا خطر عليها «

تقلصت عضلات وجه سعاد وضاقت عيناها وبدت كما لو أنها تغالب حالة غثيان مفاجئ ثم سهمت ببصرها إلى البحيرة كأنها تتأمل شيئا وندت عنها حسرة .. صمتت ، ولكنها لم تستطع أن تحبس دموعها ألما وحسرة . غصة تكاد تخنقها وقالت :

ـ« أخاف عليها من نسمة الهواء التي تمر أمامها ، ولدتها بعملية قيصرية ، وقبل موعد ولادتها بأسبوعين».

ـ وما الغريب في الأمر ؟ قالت أمل ، « أنا أيضا ولدت طفلتي الأولى بعملية قيصرية وقبل موعدها لأني تعرضت لأعراض جانبية .»

ـ « لكن حكايتي مختلفة .» تصمت وتشرد بنظراتها ، تطل دمعة حزن من عينيها وتقول : « اضطررت إلى إجراء العملية لألدها لكي يراها والدها قبل أن يختطفه الموت ، وهي أجمل هدية قدمتها له قبل وفاته».

وراحت بألم تسرد حكايتها قائلة :

«تعرفت على خالد في إحدى معسكرات اللجوء وتزوجته بعد قصة حب عنيف . وبعد عامين من الزواج بدأ خالد يشكو من الصداع ، بعدها اكتشف الأطباء بأنه مصاب بالسرطان . كنتُ حاملا في شهري التاسع حين أكدّ الأطباء بأن المرض قد وصل إلى مراحله الأخيرة ، وبأن أيام خالد أصبحت معدودة . شعرتُ بالقلق وتذكرت بأن موعد الولادة سيكون في نهاية الشهر وخشيت أن يموت خالد دون أن يرى المولود . كنت أقضي الليالي قلقة بعيون مفتوحة أمام صورته واشعر بغصة في أعماقي ... وأصبح هاجسي هو كيف أسعدُ خالد في أيامه الأخيرة . فطلبت من الأطباء إجراء عملية قيصرية لي قبل موعد ولادتي بأسبوعين ليتسنى لخالد رؤية المولود قبل أن يختطفه الموت . قد يكون قراري خطيرا.

ـ « وهل اطلَعت خالد على قرارك ؟ «

ـ « لا ، اتخذتُ القرار لوحدي . قَررتُ خوض غمار المجازفة لوحدي لأدخل الفرح إلى قلب زوجي».

ـ وأُجريت لي العملية ،فكان المولود بنتا جميلة فيها صفات كثيرة من والدها . يقولون (عندما تحب الزوجة زوجها يكون طفلها البكر يشبه أباه).

ـ « وهل استطاع خالد أن يرى الطفلة ؟ «

ـ « أجل . بعد أن استعدت قوتي طلبت من إحدى الممرضات أن تحمل الطفلة معي إلى حيث يرقد خالد . وأنا في طريقي إليه كنتُ اردد مع نفسي « سترى طفلتك يا خالد .. ستراها وتفرح بها ..»

الشمس بدأت بالانسحاب إلى الجهة الأخرى من البحيرة ، وسعاد لازالت تسترسل في سرد حكايتها وكان الانفعال واضحاً على وجهها قائلة :

« عندما دخلنا، كان خالد يرقد على السرير وقناع الأوكسجين على أنفه ، وما أن رأى الطفلة ، نسى الألم الذي أرهقه وأشاع الذبول في عينيه في الآونة الأخيرة . لمعت عيناه ببريق حاد ، وطلب من الممرضة أن ترفع قناع الأوكسجين . احتضن الطفلة وقبّلها والدموع تسيل من عينيه وقال « إنها جميلة « ، ثم احتضنني وغرقنا نحن الاثنان في البكاء بينما الطفلة بين يديه. « أريد أن اسميها وعد . « ، قال لي .

وفجأة لم يستطع خالد التنفس ، فطلب من الممرضة أن تأخذ الطفلة و تعيد قناع الأوكسجين . ناديت على الممرضة لتأخذ الطفلة ، ووعدته بأني سأحضرها في اليوم التالي ليراها . فهزّ رأسه .

تبقى أمل مبحلقة في وجه سعاد ، شعرت ببعض الضيق قبل أن تسألها :

ـ « وماذا بعد ؟ «

ـ «في اليوم الثاني ارتديت أحلى ملابسي وحملت « وعد « لزيارته ، لكني وجدته قد فارق الحياة « .

انهارت سعاد وأخذت تبكي وتقول : « لن أنسى أبداً تلك اللحظة سأحرص على أن لا تنسى « وعد « أباها ورغم أن خالد توفي ، ولن يتمكن من المشاركة في رعاية ابنته ، إلا أن ذكراه ستبقى بيننا . «

أقصوصة

الجشع

عبد العزيز عباس

أخذ يمصمص بين أسنانه براحة كبيرة،فسأله صديقه مستكثراً:
أراك أنعمت كثيراً بالعزومة.
أشاح بيده قائلاً:
إنها عزومة وانتهت،إنما استعد للتالية.
سأله بدهشة وباستنكار:
يا إلهي!! ألم تشبع بعد يا هذا؟!!
أجابه مبتسماً:
يا سيدي،نعمة جاءت إليك دون تعب ولا مقابل،فكيف ترفضها؟!

عدن /2008م

● العزومة : الوليمة

قصة قصيرة

مـــــــلاعق

حفصة المجلي

وصل والدي متأخراً من عمله .. بنفس النبرة المعتادة سقطت تلك العبارة اليتيمة من فمه «حضّروا طعام الغذاء» ومن ثم توجه لغرفته ليبدل ملابسه، توجهتُ إلى المطبخ لأسرع في تجهيز المائدة .. أطفأتُ النار تحت القدور .. غسلتُ الأطباق أخرجتُ الملاعق لأعدّها قبل أن اغسلها .. استوقفني هذه المرة أمرٌ لم انتبه له مسبقاً إنه عدد ملاعقنا .. هذه المرة سأقدم ست ملاعق .. ست فقط ، منذ ستة أشهر كانت سبعاً ومنذ عامين كانت ثمان .. أما منذ خمسة أعوام فقد كانت تسعاً، منذ ستة أشهر تعاقد شقيقي على وظيفة في مدينة أخرى .. ومنذ ذلك الحين لم أره إلا مرة واحدة، ومنذ عامين تزوجتْ شقيقتي الكبرى لتتركني خلفها دون أم مع بقية أشقائي .. أما والدتي ،فقد غادرت باكراً منذ حوالي الخمس سنوات .. تركتنا لنصارع الحياة بمفردنا .. يومها طمعتُ بأن تزيّد عددنا فتركتنا هي الأخرى مع المولود الجديد، أما أنا فلستُ أطمع بزيادة عدد ملاعقنا .. فمنذ عرفت نفسي علمتُ أنها لن تزيد .. لم نعرف أقارباً أو أهلاً ليعيشوا معنا .. والدتي لم تكن تحب أهل والدي فعاملها والدي بالمثل .. ليتركونا دون ملاعق تؤنسنا إذا ما غادرتنا ملاعقهم.